



تجليات الزمن في الرواية الجزائرية المعاصرة مذبون
لون دمهم في كفي للحبيب السائح أنموذجا

Manifestations of Time in the Contemporary Algerian Novel:
'The Sinners Whose Blood Color is in My Handpalm' by Habib Al-Sayeh
a Sample

شريط رابح

جامعة تيارت (الجزائر)، zeunvtipaza18@gmail.com

ملخص:

يحاول هذا المقال مقارنة الزمن في رواية " مذبون لون دمهم في كفي " للروائي الجزائري " الحبيب السائح " من خلال ما استقر في الوعي النقدي، فمقولة الزمن قديمة قدم الإنسانية، فقد وجدت منذ بدء الوجود، كما أنها تعد ركيزة أساسية في بناء وتشديد معمارية النص فنيا وجماليا وانطلاقا من فكرة أهمية الزمن في الخطاب الأدبي عموما والروائي خصوصا ارتأينا أن نسلط الضوء على أهم التمهصلات الزمنية التي حواها النص السردي "مذبون لون دمهم في كفي " من خلال التطرق للزمن النفسي (الارتدادي) والزمن الإستذكري أو الإرتدادي والزمن الإستشراقي والزمن الميقاتي الرياضي والزمن التاريخي والزمن السياسي. **كلمات مفتاحية:** الخطاب الروائي، تمهصلات الزمن، معمارية النص، بنية النص السردي.

Summary:

This article attempts to approach time in the novel "Sinners Whose Blood Color Is on My Handpalm" by the Algerian novelist "Habib Al-Sayeh" through the lens of established critical awareness. The concept of time is as old as humanity. It has existed since the beginning of existence, and it is also considered a fundamental pillar in constructing the literary text artistically and aesthetically. Stemming from the idea of the

importance of time in literary discourse, generally, and the novel, particularly, we have decided to shed light on the most significant temporal articulations contained in the narrative text "The Sinners Whose Blood Color Is on My Handpalm". This will be achieved by delving into the psychological (retrospective) time, the recollective or retrospective time, the anticipatory time, the mathematical/chronometric time, the historical time, and the political time.

Keywords: Novelistic discourse; temporal articulations, textual architecture, narrative structure

1. مقدمة: يعتبر الزمن ركيزة أساسية وتقنية مهمة في البنية السردية، فهو عنصر عنصر أساسي له تأثير كبير على دلالات السرد، وبفضله تحدد السمات الأساسية للرواية، لأن أي عمل سردي لا يستقر على حال، ولا تقوم له قائمة في ظل غياب هذا العنصر، فالزمن هو الذي يتضمن حركة الفعل أو الحدث وكذلك الشخصية فهو الذي يحركها وهو أساس وجودها وكيانيتها، فهي مرتبطة به ارتباطا وثيقا ولا يفارقها لحظة واحدة، ونظرا لارتباطه بالشخصية، فقد تحول إلى موضوع للرواية، مما يؤكد أهميته ودوره في العمل الروائي وتأثيره على بنية الرواية.

2. الزمن من منظور الشكلايين الروس

ويعد الشكلاينيون الروس من الأوائل الذين تطرقوا إلى مفهوم الزمن وأهميته ودوره في الأعمال السردية من خلال تقديمهم لتعريفات له ولكنهم لم يستقروا على تحديد مفهوم الزمن مما يفتح المجال للبحث والتنقيب أمام الدارسين والمفكرين. وقد ذهبوا إلى التميز بين زمن القصة وزمن الخطاب من خلال تقسيمهم للعمل الروائي إلى مبنى ومتن، «ولكل خصائصه المميزة له فالأول لابد له من زمن ومنطق ينظم الأحداث التي يتضمنها، أما الثاني فلا يأبه لتلك القرائن الزمنية والمنطقية قدر اهتمامه بكيفية عرض الأحداث وتقديمها للقارئ تبعا للنظام الذي ظهرت به في العمل»² وتقوم القصة بعرض الأحداث وفق نمطية الزمن وتعاقبه.

فزمن القصة: هو «الزمن الذي وقعت فيه الأحداث حقيقة أو تخيلا، يحدد بنقطة وينتهي بنقطة، له طول محدد فعليا أو اعتباريا، وقد يرتبط بالواقع وقد يرتبط بالتخيل ويظهر هذا الزمن في المادة الحكائية ذات بداية ونهاية، إنها تجري في زمن سواء كان هذا الزمن مسجلا أو غير مسجل كرونولوجيا أو تاريخيا»³.

ويتحدد زمن القصة في رواية "مذبذبون لون حمامة في كفي" انطلاقاً من اندلاع ثورة التحرير المضفرة، حيث يعد هذا الزمن أول الأزمنة من حيث الترتيب التسلسلي في هذا العمل السردي.

ولتأكيد ذلك نأتي بهذا المقطع السردى الذي يصور لنا حرب التحرير في عامها الثالث والأعمال الجليلة التي كان يقوم بها المجاهدون من أجل التعريف بالثورة والقضاء على الخونة والمرتزة.

«ولما كانت حرب التحرير دخلت عامها الثالث نزل ابنه الطيب من الجبل جندياً فباغت نجل "القايد" ليلاً في منزله وخيره بين الموت فوراً وبين أن يخلط بيده ميثاقاً بالقسم على تنفيذ ما سيصدر إليه من أوامر، ثم أخذ منه مؤنة ومال»⁴.

ليتواصل هذا الزمن في السيرة إلى أن يصل إلى أحداث الخامس من أكتوبر وما تلاها من أعمال شغب مست الوطن كله، وغيرت الخارطة السياسية من الحزب الواحد إلى التعددية الحزبية، وهذا ما جسده الروائي في هذا المقطع :

«...حتى إذا انفجرت حوادث أكتوبر قبل إحدى عشر عاماً، استعادت منصتها حياتها بألوان أخرى مختلفة وبخطابات جديدة مباشرة محرصة قاسية وعنيفة»⁵.

ثم يواصل هذا الزمن نموه وتطوره إلى أن يصل إلى غاية صدور قانون الوثام المدني والمصالحة الوطنية، وهو قانون سنته الدولة من أجل إرساء السلم والوثام، وإعادة الجزائر إلى ما كانت عليه في السابق، لكن هذا القانون قبل بالرفض من قبل ضحايا المأساة الوطنية .

أما زمن الخطاب: فهو زمن يبتعد عن نمطية الزمن الطبيعي ذي الخطية المعهودة وهو الزمن الذي يقدم الروائي فيه رؤيته في سياق جديد لأنه هو الذي يستطيع التأثير في خطية الزمن وارتباطه فيجعله زمناً متجزئاً منكسراً لا يخضع للتسلسل والتعاقب يوجهه حيث أراد.

فالروائي قادر على التلاعب بهذه الأزمنة والتحكم فيها، فزمن الخطاب من وضع الروائي يتصرف فيه حسب أغراضه، فيغير ويبدل لأسباب تتعلق بتقنية السرد، حيث «ينطلق من الحاضر ليعود إلى الماضي، ثم من الحاضر إلى المستقبل»⁶.

والمخطط التالي يوضح الفرق بين زمن القصة وزمن الخطاب:

- زمن القصة — ماضي حاضر مستقبل

أ ← ب ← ج

- زمن الخطاب ← حاضر ماضي مستقبل

ب ← أ ← ج

من خلال هذه الخطاطة يتضح أن زمن القصة يسير وفق خط مستقيم لا يقبل الانكسار أو الدوران، فهو زمن تسلسلي ترابطي، ينطلق من الماضي ليصل إلى الحاضر ومنه إلى المستقبل أما زمن الخطاب يتصرف فيه الروائي كما يشاء فقد يقدم أو يأخر أو يحذف وهذا وفق تقنية السرد.

ومجمل القول إن الزمن في الخطاب يختلف عنه في القصة، يكون متوازنا أي من الممكن أن يقع حادثان في وقت واحد، ولكن حين يتحول هذا إلى خطاب فان الخطاب لا يكون إلا متواليا مهما تجرأ أو تكسر، بينما هو في القص يكون متوازيا إذا كانت الأحداث متزامنة.

فزمن الخطاب يختلف عن زمن القصة، حيث يمكن أن تحدث بعض الوقائع في زمن واحد، بينما لا يمكن أن يحدث هذا في زمن القصة.

ويؤكد " ميشال بوتور" صعوبة عرض أحداث الرواية وفق ترتيب التعاقب « لأننا لا نعيش الزمن باعتباره استمرار إلا في بعض الأحيان، وأن العادة وحدها هي التي تمنعنا من الانتباه أثناء القراءة إلى التقطعات والوقفات وأحيانا القفزات التي تتناوب على السرد»⁷ أي إن عرض للأحداث في الرواية ليس بالضرورة أن يكون عرضها متسلسلا مترابطا يخضع إلى التعاقب الزمني الكرونولوجي، فلم تعد الرواية -خصوصا الجديدة- تعتمد على ذلك التسلسل والتتابع الزمني، بل أصبحت تعتمد على البعثرة في التعبير عن الأحداث فالترتيب الزمني ليس إلزاما في العمل السردي.

وهذا ما دفع بـ " جيرار جينت " إلى القول «إن العلاقة القائمة بين زمن القصة وزمن الخطاب مبنية على ثلاث محاور أساسية وهي " محور النظام " ومنه نفهم استحالة التوازن بين الزمنيين لاختلاف طبيعتها (متعدد، أحادي) و"محور المدة" التي قد تتسع أو تنقلص فينتج عن ذلك مفارقات زمنية ليس من الممكن دائما قياسها كالوقفة والحذف والمشهد

وأخيرا "محور التواتر" ويخص طريقة الحكيم التي يختارها المؤلف لسرد قصته (السرد المنفرد السرد المتكرر – السرد المتواتر)⁸

ويمكن الحديث عن بنية زمن الخطاب السردية في " رواية مذبذبون لون دمهم في كفي" وذكر المكونات الزمنية لأكثر توظيفا في النص منها:

1.2 الزمن النفسي (الذاتي) :

يرتبط الزمن النفسي أو الزمن الداخلي بالذات الإنسانية فهو ناتج عن أحوال النفس وأوصائها، فهو زمن النفس وما تشعر به الشخصية من أحاسيس وانفعالات وجدانية وعاطفية إنه زمن وجداني يحمل همسات النفس وأشجانها إنه أصداء لما يجري في داخلها

فهذا الزمن يرتبط بالعواطف والانفعالات، مجاله الذات، وهو الذي يلون الوجود بلونه وقد يطول على النفس وذلك في حال الشدة والضيق والقلق، ويقصر في حالة السعادة والفرح والسرور، زمن تؤطره النفس البشرية، إنه يتحدد بمدى معاناة الشخصية وتصوير حالتها النفسية، لا يقاس ولا يتحدد بالمدة الزمنية المعروفة، وإنما يتحدد من قبل الذات التي تضيء عليه هالة من الطول أو القصر فقد تكون الأيام متساوية بالنسبة إلى الساعة ولكنها ليست كذلك عند البشر، زمن مرتبط بالذكريات والآمال، حلوها ومرها متأرجح بين القلق والهدوء، بين التوتر والاستقرار « تمتد جذور هذا الزمن في الذكريات والآمال المهمة عبر التشققات العاطفية والمتداولة بين الانفعال والهدوء حيناً وبين الحدة والفتور أحيانا أخرى»⁹، على حد تعبير الدكتور "بشير بويجرة" فهو غائر في النفس البشرية « يتخذ من اللاوعي مستقره ... ويصطفي من الماضي الأحداث البارزة الناتئة والتي وسمت الإنسان من حيث لا يعلم بهذه السمة أو تلك»¹⁰ نتيجة التغير والتبدل التي يطرأ على العالم الداخلي للشخصية.

وقد تجسد هذا الزمن في رواية " مذبذبون لون دمهم في كفي " باعتبار أن الروائي يعالج فترة عصبية من تاريخ الجزائر، لذا نجد شخصياته تعيش حالة نفسية مضطربة حزينة، تحن إلى ماضيها وتحاول الهروب من حاضرها الأليم فالواقع لا يحمل لها سوى الألم، والمستقبل يبدو غائما ومعتما ولا أمل لها في تغيير هذا الواقع الإنساني.

وهذا ما تؤكده الحالة النفسية الصعبة والمحبطة التي عاشها " سعادة " عندما داهمته مجموعة مسلحة وأجبرته على إيوائها، «راح سعادة يروي للضابط لخضر كيف قضى ليلة مرعبة كلما غفا خلالها وقف عليه شبح لحول»¹¹.

فمن خلال هذا المقطع السردي يتضح أن الراوي استخدم الزمن النفسي من خلال الليلة الصعبة التي قضاها "سعادة" كلما تذكر تلك الجماعات المسلحة، فقد كانت هذه الليلة تزداد طولاً على شخصية "سعادة" نتيجة الخوف والرعب الذي تركته الجماعة الإرهابية في ذاكرتها.

ولم يكتف السارد بهذا المقطع، بل واصل عرض الأحداث المرتبطة بالزمن النفسي من خلال تحسر وتآلم رشيد على فقدانه لعائلته، فكان هذا الوقت طويلاً عسيراً على الشخصية وذلك بسبب الحالة النفسية السيئة التي تطبع حياتها.

«فأفسحت له بصمتي واقفا جنبه، أحسه يبكي خرابه الداخلي»،¹² فاستعمال الراوي للفظـة "خرابه الداخلي" تدل دلالة واضحة على الحالة النفسية المتوترة والقلقة التي كانت تميز شخصية "رشيد".

ورغم أن الوالد أراد إخفاء حزنه على فلذة كبده، إلا أن عيناه فضحته وأفشت سره «فناديتها يا صغيرتي الشجاعة، وصلنا وفتحت الباب مشنت الإحساس لا أستطيع أن أخفي ما كان سيظهر في عيني»¹³

ما زالت الشخصية تعيش حالة من التوتر والقلق والتمزق الداخلي من أجل معرفة هويتها وتاريخها والبحث عن ذاتها الضائعة، ولتأكيد ذلك نأتي بهذا المقطع السردي: «خويا رشيد، هناك شيء ما في قلبي أحسسته مات أردته أن لا يدفن في صدري»¹⁴.

من خلال هذا المقطع السردي يتضح أن "محمد الشاوي" كان يخبئ شيئاً ما في نفسه فهذه الشخصية تعيش حالة نفسية صعبة ووقتا طويلاً كلما تذكرت الكمائن التي نجت منها باعتبار أن "محمد الشاوي" كان يعمل جندياً وكثيراً ما كان يقوم بعمليات التمشيط بحثاً عن الجماعات المسلحة.

2.2 الزمن الاستذكاري

هو شكل من أشكال الرجوع إلى الماضي، يقوم فيه السارد باستحضار الماضي بحيث يحيلنا الراوي إلى أحداث جرت في الماضي، والغرض من توظيف هذا الأسلوب هو الثورة على حاضره، والتعبير عن الشعور بالحنين إلى الماضي، مما يولد سيطرة النزعة التشاؤمية

على نقيض ما نراه حين استشرافه المستقبل من النزعة التفاضلية فهي « أحداث تخرج عن حاضر النص لترتبط بفترة سابقة عن بداية السرد»¹⁵.

فقد يستعد الراوي أحداثا انقضت أو تجارب حدثت له، لهذا « تلتقي بالزمن الماضي داخل نصوصنا الروائية وكأنه يشكل رافدا من روافد العملية الإبداعية حتى كان العنصر الحاسم في عملية الخلق الإبداعي والأساس الجمالي الشرعي لكيونتها، فلا نكاد نعثر على نص واحد خلو من الارتكاز على فسيفساء وامتداداته الظليلة...»¹⁶.

وقد يعود السارد بذاكرته لاستعادة الماضي، وهذه الذكريات قد تكون سعيدة وقد تكون أليمة ومحزنة.

ففي العمل الروائي تتداخل الأزمنة، الماضي بالحاضر، بالمستقبل على أن التذكير بالماضي في النقد الروائي « يعني الارتداد نحو حكاية كان يمكن أن تذكر في موضوعها من السياق السردى، فأرجى تقديمها إلى غاية من الغايات الفنية، التي منها حب المزج بين الحاضر والماضي، وإدماج أحدهما في الآخر بطريقة تتوخى الحيوية والحركة المتجددة في السرد»¹⁷.

فالراوي أو السارد يقوم باسترجاع الماضي ويدمجه مع الحاضر وهو بذلك لا يراعي الترتيب الزمني الكرونولوجي، وإنما يقوم بذلك وفق ما تمليه العملية الإبداعية وبغرض فني محض.

ورواية " مذبذبون لون دمهم في كفي " لا تخلو من هذه التقنية، حيث نجد أن الراوي استخدم هذا النوع (الزمن الاستذكاري) من الزمن كثيرا في نصه السردى.

«وهز وجداني تذكارات من ساعات أشدها وقعا كانت تلك التي فض غشاء صمتها نبو أعيرة نارية...»¹⁸.

فمن خلال هذا المقطع السردى يتبين أن السارد استعمل الزمن الاستذكاري من خلال الرجوع بأفكاره إلى زمن الإرهاب والاعتقالات، فقد استعمل مصطلح " تذكارات " للدلالة على استحضار الماضي، وقد استعاد الروائي الزمن الماضي مرغما رغم الألم الذي يصيبه جراء تذكره (الماضي).

ولعل الراوي يتذكر أيام طفولته أثناء الحقبة الاستعمارية، أو بالأحرى أياما قبل الاستقلال فهو يقوم بسرد أحداث زمنية مضت، تمثلت في معاملته من قبل الجيش الفرنسي وأنه كان ذو شجاعة ولم يهرب أو يفزع عكس بقية الأطفال.

رغم أن السارد كان يسعى إلى نسيان سنين الجمر والدمار، إلا أن اللافتات المعلقة أعادت إلى ذهنه ما كان يسعى إلى نسيانه.

«ذكره ذلك بصور مثلها كانت معلقة قبل خمسة أعوام في مدخل الأسواق وعلى حيطان الساحات العمومية وتحت كل واحدة رقم كبير بمبلغ المكافأة على التبليغ»¹⁹
لقد تذكر السارد حين رأى تلك الصور سنين الدم والدمار عندما كانت تضع المصالح الأمنية صور للإرهابيين، وتحت كل صورة مبلغا ماليا مقابل التبليغ.
«فتذكرت من بين ما تذكرت أياما من تلك الأصياف التي بدت بعيدة لما كنت أنا وزوجتي حورية نطلع متعانقين فرارا من هجير السموم الجافة»²⁰.

إن لجوء السارد إلى الزمن الاستذكاري، كان من أجل استحضار محطات من حياته الزوجية حين كان رفقة زوجته "حورية" في لحظات استجمام بعيدا عن حر الصيف
«... قبل سبعة أعوام، في ذكرى الاستقلال التي دأب على إحيائها في بيته مع رفاقه في السلاح الذين بقوا على قيد الحياة»²¹.

لقد مر على عيد الاستقلال سبع سنوات، وهي ذكرى خالدة دأب "بوركية" على إحيائها في بيته مع رفاقه في السلاح.

ويواصل الروائي حديثه عن الزمن الاستذكاري من خلال حنين الشخصية إلى ماضيها المشرق، الذي يعد الملجأ الوحيد، الذي تسترد فيها أنفاسها وتخفف من آلامها نتيجة حاضرها الأليم، «نزول المطر رذاذا ظل يغرقني في حنين رومانسي إلى طفولتي، كنت أتسمر من خلف زجاج نافذة أرقبه يداعب حشيش حديقة البيت»²²

إن ذاكرة الراوي لا زالت تحتفظ بتلك المشاهد المروعة، مشاهد المذبحة التي راح ضحيتها عائلة بأكملها لم تنج منها إلا الصغيرة "نجاه"

«طيلة تلك الأعوام ظللت أركب ما كان ذا صلة بالمذبحة، وما تلاها كأجزاء لعبة مثلما أنقش لنجاه خزانة من الخشب الرفيع من خلال تفاصيل اجتمعت لي لاحقا كانت من خالتي»²³

يعود الروائي بذاكرته إلى تلك الأيام المشحونة بالعنف، وإلى تذكر ذلك الحوار الذي دار بينه وبين "بوركية" من أجل التحكم في الوضع.

«وكان بوركية قال لي في تلك الأوقات الشحونة بالعنف، إنه لا بد من نقل الخوف إلى الطرف الآخر، لإقامة توازن الرعب ثم السيطرة على الأوضاع التي كانت مفلتة»²⁴

وباعتبار أن "بوركة" من الأشخاص الذين دافعوا عن بقاء الجمهورية، فقد كان قائدا يخطط لكل العمليات، وهذا ما دفع بزميله إلى تذكر تلك النصائح التي كان يستقيها منه.

3.2 الزمن الإستشراقي:

ويقصد به الاستباق الزمني، أي التنبؤ بما سيحدث مستقبلا فهو «عملية سردية تتمثل في إيراد حدث آت، أو الإشارة إليه مسبقا قبل حدوثه، وفي هذا يتابع السارد تسلسل أحداث النص المتخن بجراح الماضي، ثم يتوقف بتقديم نظرة مستقبلية، ثم ترد فيها أحداث لم يبلغها السرد بعد، ويمكن توقع حدوث هذه الأحداث»²⁵.

فالراوي يتجاوز الحاضر ليتنبأ بالمستقبل، فهو يذكر بحدث لم يحن وقته بعد أي أن حدوثه مرتبط بالمستقبل لا بالحاضر.

ويسمى "جيرار جينت" الزمن الإستشراقي "أو" السرد الإستشراقي" بـ «الاستشراف الخارجي»²⁶، ويساعد "الزمن الاستشراقي" القارئ على التخيل أو تنبأ بما يحدث مستقبلا أو التكهن بما يحدث للشخصيات مستقبلا، فهو «توطئة لاحقة يجري الإعداد لسردها من طرف الراوي، فتكون غايتها في هذه الحالة هي حمل القارئ على توقع حادث ما أو التكهن بمستقبل إحدى الشخصيات»²⁷.

«سلمني السلاح ونظمت معه المقاومة جنبا لجنب معرضا نفسي للموت في كل لحظة في الشارع في مشغلي خلال الكمائن الليلية وفي الاشتباكات التي تحدث هنا وهناك»²⁸. فالراوي هنا يتوقع ما سيحصل له مستقبلا بسبب حمله السلاح في وجه الجماعات المسلحة، فهو بذلك يعرض نفسه للموت في كل لحظة من خلال العمليات الإرهابية والكمائن الليلية.

وهناك كثير من الروايات التي استعمل فيها الزمن الإستشراقي خصوصا روايات زمن المحنة مثل رواية "بخور السراب" لبشير مفتي، والتي كانت فيها الشخصيات تتطلع إلى مستقبل مشرق يسوده الأمن والاستقرار، وما ذكر المرأة إلا رمز للجزائر «سأحب وقد أكره، سأعلق بهذه المرأة أو تلك وماذا بعد؟ ماذا سيكون مصيري القريب والبعيد...»²⁹.

فالراوي يتساءل عما سيحدث مستقبلا، هل سيقع في حب امرأة ما أم لا؟ ويتساءل عن مصيره القريب أو البعيد.

وهناك ألفاظ تدل على الزمن الاستشراقي، فحين يستعمل الروائي لفظة "سينطلق أو سيبدأ فهذا يدل على الاستشراق، كما هو مائل في هذا المقطع.
"سيطلق النار على أول من يتحرك ولو بكلمة..."³⁰.

من خلال هذا المقطع السردى يتبين أن السارد استعمل الزمن الاستشراقي من خلال لفظة "سيطلق" التي تدل على المستقبل، فالراوي يتنبأ بما سيحدث للشخصيات من خلال محاولة "بوركة" إطلاق النار على كل من يتحرك أو يتلفظ بكلمة، حيث جاءت بعض الأحداث «تؤشر زمنيا على الأزمة التي حلت ببلادنا»³¹.

ولم يكتف الروائي بهذه المقاطع السردية التي تبين وتوضح "الزمن الإستشراقي" والذي تتطلع الشخصية من وراءه إلى مستقبل أفضل من الذي تعيشه.
«فكل حواسي كانت متأهبة لأن أستقبل منه أي طلب آخر، غير منتظر أن يستأذني في أن تزور نجاة في مستشفى المدينة»³²

إن الشخصية كانت على أهبة الاستعداد لأن تستقبل أي طلب يأتيها من الخارج.

3. الزمن الرياضي الميقاتي:

هو كل زمن يستخدم في تحديده أو قياسه وحدات زمنية معينة، كالأرقام والساعات والأيام والأعوام، فهو زمن قابل للقياس مستمر ودائم، «ينطلق في تحديده من وحدات زمنية معروفة من حيث حملتها الميقاتية، فالزمن الرياضي يتعامل مع الأرقام والتقديرات، فالوحدات هنا معروفة كمياً فهي التي تحدد مفهوم التعاقب الذي يدفع إلى الأمام وهذا الزمن الذي تقوم فيه المتعاقبات هو الزمن الرياضي القابل للقياس أو ما نسميه بالديمومة»³³

ويتحدد هذا الزمن من خلال استعمال مصطلحات معينة مثل: الساعات، الأيام السنين وهذا ما نجده ماثلاً في رواية "مذنبون لون دمهم في كفي" من خلال المقاطع السردية التالية:

«أذكر أنه لم يكد يمر على يوم من غير أن أكون عدت إلى تلك الأوراق... ولكنها كانت قبل ثلاثة أعوام وجدتي ترددت مغيظاً محزوناً أن أصف لها مشهد المذبحة...
"يوم بلغ العنف أقصى درجاته..."»³⁴.

من خلال هذه المقاطع السردية يتبين أن الراوي استعمل " الزمن الرياضي الميقاتي " من خلال توظيفه المصطلحات الخاصة به مثل "يوم، السنين، ثلاثة أعوام، فهو يستخدم وحدات زمنية معروفة، يستطيع المتلقي أن يتعرف عليها دون جهد وعناء.

4. الزمن السياسي:

ونعني به «الزمن المتعلق بالسلطة والأجهزة الرسمية العليا في البلد، وما تسنه من قوانين ومشاريع وحتى خطب مواجهة الأفراد، وهو المسيطر على زمام الأمور وسيد اللحظة الآنية»³⁵.

وقد احتوت رواية "مذبذبون لون دمهم في كفي" على الزمن السياسي وتجلّى في الصراع السياسي القائم بين السلطة والجماعات الإسلامية المسلحة من جهة، وردود الفعل من قبل ضحايا المأساة الوطنية حول قانون "الوثام المدني" و"المصالحة الوطنية" الذي يبرئ المجرم ويضعه في المقام نفسه مع الضحية مما أوقع الجزائر في فتنة تشبه "الحرب الأهلية" فقد تلونت الرواية بألوان الموت والرعب والدمار، مما ولد فوضى عمت أوساط الشعب الجزائري.

«هذا النظام يجب أن يسقط بحد السلاح! كان ذلك آخر ما سمعته منه قبل أن أراه منذ ساعات في الجبل وعلى ملامحه الساكنة بقايا من براءة قديمة»³⁶.

من خلال هذا المقطع السردى يبين لنا الراوي أن هناك هوة بين المثقف والسلطة، بدليل أن هذه الشخصية تتمثل في طالب جامعي متخصص في علم الأحياء يبدي تدمره من السلطة لدرجة أنه التحق بالجبل بغية إسقاط النظام.

كما صور لنا السارد الانفجارات التي خلفتها العمليات الإرهابية، وما ترتب عنها من دخان متصاعد.

لأزالت الشخصية تصب جام غضبها على السلطة، ويظهر ذلك بصورة جلية من خلال الحوار الذي دار بين شخصية "ميمون" والمجاهد "بوركبة" الذي يكن حقدا دفينا للسلطة نتيجة ممارساتها التعسفية، وهذا المقطع السردى يبين ذلك.

«من علامات الساعة أن يتحول شعب بأكمله إلى الصعلكة! ومن دلائل الخطاب أن

تؤول الدولة إلى مسخرة! هل تسمع بقانون أو شرع يبرئان المذنبين من غير محاكمة!»³⁷

إن لجوء السارد إلى الزمن السياسي في هذا المقطع، يظهر من خلال حديث الراوي عن الانتهاكات التي تمارسها السلطة على الشعب بغرض نهب وسلب المال والعقار.

«هاهي حرب أخرى همجية تمزقنا منذ سبع سنين، تديرها رؤؤس الفتنة من السياسيين الطموحين ومن كبار المنفذين الذين يتقاتلون بدمنا للسيطرة على المال العام والعقار»³⁸.

وما زالت وتيرة الصراع متواصلة بين السلطة والمواطنين نتيجة الظروف السيئة التي يمر بها البلد مما أفرز بعض القرارات السياسية التعسفية التي زادت من غضب المواطن وتوتره، وهذا ما وجدناه ماثلا في هذا المقطع السردى.

«...وهناك متلمسا مسدسه، الذي صار يحمله خلف خاصرته منذ سبعة أعوام من بعد ما رفض تسليم رشاشه يوم حجز الدرك أسلحة الصيد والأسلحة الأخرى بأمر من الدولة»³⁹.

وباعتبار أن الروائي يعالج قضية سياسية تتمثل في ردة فعل بعض أبناء الشعب الجزائري اتجاه قانون المصالحة، فقد جاء هذا النص خصبا مليئا بالأزمة السياسية. «لأن الذنب يبقى ذنبا! وتتصفح عنهم بعد ذلك! أما الغفران فلن ينالوه لأن الله وحده يعفو ويغفر يوم القيامة»⁴⁰.

هذا الحديث نابع من أحد ضحايا المأساة الوطنية، من خلال تحميله المسؤولية للسلطة التي تعفوا عن الجاني وتصنفه في المقام نفسه مع الضحية. «تعلن إلى سكان المدينة أن موعدا انتخابيا على الأبواب نادرا ما لم يكن حملة رئاسية بمرشح وحيد حتى إذا انفجرت حوادث أكتوبر، قبل إحدى عشر عاما، استعادت منصبها حياتها بألوان أخرى مختلفة وبخطابات جديدة مباشرة محرضة قاسية وعنيفة»⁴¹. في هذا المقطع السردى يبين لنا الروائي كثرة وتعدد الخطابات التحريضية المطالبة بإسقاط الدولة خاصة بعد أحداث الخامس من أكتوبر.

5. الزمن التاريخي

إن أي عمل روائي لا يخلو من الاعتماد على حدث أو قصة ما والتي يجب أن تقع في زمن معين أو تاريخ معين.

فالعامل الإبداعي لا يعتمد على الخيال البحت، وإنما أصبحت الرواية كما حددها "محمود أمين العالم" «تاريخا متخيلا ذا زمانية متميزة خاصة داخل التاريخ الموضوعي ولم تعد مجرد سرد أدبي لتاريخ موضوعي في بنيتها الحديثة الخارجية»⁴².

غير أن انتقال التاريخ إلى الأعمال والنصوص الإبداعية الأدبية، لا يعني أنها تعاني من هيمنة الموضوعية التاريخية على السياق التخيلي بل على العكس من ذلك. يقول الدكتور "إبراهيم عباس" «إن الحدث التاريخي من هنا يواجه الواقع الذي مضى بواقع حاضر، مغنيا تطور حداثته انطلاقا من إعادة تكوين الواقع بمادة رمزية كتابية»⁴³.

وهكذا يمكن للراوي أن يصبغ هذه الأحداث بصبغة فنية جمالية، عن طريق التحليل والتأويل والاستنتاج.

وهذا ما نحاول استجلاءه في هذا العمل الروائي (مذبذبون لون دمهم في كفي) فقد نجد الروائي "الحبيب السائح" قد وظف هذا العنصر في روايته.

«أنها كانت ما تزل صغيرة يوم شاهدت أباهما أurdy بأعيرة نارية عسكريا من المظليين»⁴⁴ يصور لنا الروائي "فلة" وهي طفلة صغيرة تشاهد أباهما وهو يغتال من طرف قوات الاستعمار، وهنا يظهر الزمن التاريخي من خلال الحديث عن المستعمر الفرنسي واستعمال مصطلح "يوم" للدلالة على الزمن.

«لكوننا خلال ثلاثين قرنا لم نعرف سوى الحروب»⁴⁵.

ويواصل السارد الحديث عن الزمن التاريخي، من خلال الحروب الاستعمارية التي مرت على الجزائر.

«لكوننا خلال ثلاثين قرنا لم نعرف سوى الحروب»⁴⁶.

ولم يتوقف السارد عن هذا الحد، بل واصل استعراض أهم المحطات التاريخية التي مرت بها الوطن من خلال الحديث عن تلك الحروب التي توالى على أرض الجزائر من أجل نهب وسلب خيراتها، والمقطع السردى التالي يثبت ذلك:

«وإن نحن حفرنا عن أثر مرورنا في التاريخ وجدنا ذكر الآخرين الذين احتلوا أرضنا أو فتحوها من الفنيقيين والقرطاجنيين وغيرهم مرورا بالرومان»⁴⁷.

والزمن التاريخي في هذه الرواية لم يقتصر على الثورة التحريرية المضفرة، وإنما تعداه إلى الحديث عن أحداث العام ثمانية وثمانين الذي يمثل بداية الأزمة السياسية في الجزائر، وهذا ما لمسناه من خلال المقطع السردى :

«ورفع شعارتها مثقفون حالمون وصاغة بلغتها بيروقراطية حزبية، قبل أن تحدث الرجفة في خريف ثمنية وثمانين ليتهاوى صرح الوهم كورقة دلب ومعها شعار آخر مهلوس رفعوه عاما من قبل: دين واحد، شعب واحد حزب واحد»⁴⁸.

لا زالت انتصارات الثوار_أثناء حرب التحرير_ عالقة بذاكرة الشخصية، كما هو الحال عند شخصية المجاهد "بوركبة" المعجب بشخصية "أحمد" الفتى الذي يطالب هو الآخر بالتغير وهذا المقطع السردي يؤكد ذلك:⁴⁹.

«لو أراد التاريخ لحرب التحرير أن تتأخر لأشعلها جيلكم، فانه كان فتى مثلي بتلك الطاقة الخفية المعتملة في الوجدان عندما اندفع كعشرات الآلاف ثم مئات الآلاف على درب الأجداد لرد العدوان التاريخي بالقوة»⁵⁰.

6. خاتمة: ومجمل القول لما سبق أن الرواية تتميز بهذا العنصر الذي هو زمنيته فأهمية هذا العنصر بالنسبة للرواية يتأتى من كونه بمثابة روحها المتفتحة وقلبها النابض لأن انعدام عنصر الزمن يفقد الأحداث حركيتها.

مراجع البحث وإحالاته:

- 2 عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت: د، ط 1998، ص 46
- 3 عبد الحميد المحادين، التقنيات السردية في روايات عبد الرحمن منيف، ط 1، 1999 م، ص 61
- 4 الحبيب السائح، مذنبون لون دمهم في كفي، منشورات، دار الحكمة، الجزائر: ط 1، 2008 ص 251
- 5 الرواية، ص 119
- 6 عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، ص 221
- 7 عبد الحميد المحادين، التقنيات السردية في روايات عبد الرحمان منيف، ص 61
- 8 محبة حاج معتوق، أثر الرواية الواقعية الغربية في الرواية العربية، دار الفكر اللبناني، 1994، ص 65.
- 9 عبد الصمد زايد، مفهوم الزمن في الخطاب الروائي الجزائري، ص 176
- 10 عبد المحسن صالح، عالم الفكر، مجلة تصدرها وزارة الإعلام والاتصال، الكويت، الزمن البيولوجي، العدد 02، سبتمبر 1997 م، ص 09
- 11 الرواية، ص 224
- 12 علي لخضاري، الزمن في رواية عابر سرير لأحلام مستغانمي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة تيارت، 2009، 2010 م، ص 83
- 13 الرواية، ص 224
- 14 الرواية، ص 32

- 15 الرواية، ص 273
- 16 بوشوشة بن جمعة، سردية التجريب وحداثة السردية، ص 166
- 17 بشير بويجرة محمد، بنية الزمن في الخطاب الروائي الجزائري (1970-1986)، ص 192
- 18 عبد الملك مرتاض، تحليل الخطاب السردية، ص: 217
- 19 الرواية، ص 12
- 20 الرواية، ص 14
- 21 الرواية، ص 81
- 22 الرواية، ص 75
- 23 الرواية، ص 259
- 24 الرواية، ص 11
- 25 نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ص 167
- 26 بوشوشة بن جمعة، سردية التجريب وحداثة السردية، ص 167
- 27 المرجع نفسه، ص 166
- 28 الرواية، ص 58
- 29 بشير مفتي، بخور السراب، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط 1، 2004 م. ص 47
- 30 الرواية، ص 132.
- 31 analyse de recityvesreuter –collection 128/2001 : p39
- 32 المصدر السابق، ص 58
- 33 بشير محمودي، البنية السردية في الرواية الجزائرية المعاصرة. البحث عن الوجه الآخر نموذجا، رسالة الماجستير جامعة وهران، الجزائر، (1998-1999)، ص 98.
- 34 سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، (الزمن، السرد، التبئير)، بيروت، المركز الثقافي العربي، ط 4، 2005، ص 74
- 35 الرواية ص 13
- 36 بشير بويجرة محمد، بنية الزمن في الخطاب الروائي (1970-1986)، ص 48
- 37 المرجع نفسه، ص 272
- 38 المصدر نفسه، ص 20
- 39 الرواية، ص 53
- 40 الرواية، ص 23
- 41 الرواية، ص 26
- 42 الرواية، ص 119
- 43 إبراهيم عباس، تقنيات البنية السردية في الرواية المغاربية، ص 18.
- 44 المصدر نفسه، ص 97
- 45 الرواية، ص 119

46 الرواية، ص 24

47 الرواية، ص 85

48 الرواية، ص 256

49 المصدر نفسه، ص 257

50 الرواية، ص 77

- قائمة المصادر والمراجع:

1. عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت: د، ط 1998.
2. عبد الحميد المحادين، التقنيات السردية في روايات عبد الرحمن منيف، ط 1، 1999 م.
3. الحبيب السائح، مذبذبون لون دمهم في كفي، منشورات، دار الحكمة، الجزائر: ط 1، 2008.
4. محبة حاج معتوق، أثر الرواية الواقعية الغربية في الرواية العربية، دار الفكر اللبناني، 1994.
5. عبد المحسن صالح، الزمن البيولوجي، عالم الفكر، مجلة تصدرها وزارة الإعلام والاتصال، الكويت، العدد 02، سبتمبر 1997 م.
6. بشير بويجرة محمد، بنية الزمن في الخطاب الروائي (1970-1986)، دار الغرب للنشر والتوزيع، 2001.
7. بشير محمودي، البنية السردية في الرواية الجزائرية المعاصرة، البحث عن الوجه الآخر نموذجاً، رسالة الماجستير جامعة وهران، الجزائر، (1998-1999).
8. سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، (الزمن، السرد، التبيين)، بيروت، المركز الثقافي العربي، ط 4، 2005.
9. Armand colin, analyse de recityvesreuter –collection 128/2001